العدد(1407) السنة السادسة - الاحد (11) كانون الثاني 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

حروب العرب

الأهرام
١/١٠

بقلم : د. جمال عبدالجواد

انفجرت الحرب الإعلامية في الشرق الأوسط بين المعتدلين والمتشددين بمناسبة عدوان إسرائيل على غزة. إعلام الحرب ليس من النوع الموضوعي المهني المنضبط الذي نعرفه في الظروف العادية. الإعلام العربي يعاني مشكلة مهنية وانحيازا عميقا طوال الوقت. عندما ينفجر الصراع ويسود الانقسام تتعمق مشكلة الإعلام العربي بدرجة أكبر. إعلام الحرب ليس طريقا مناسبا للوصول إلى الحقيقة. إعلام الحرب مشحون وموجه بالأجندات السياسية لأطرافه.

حروب الإعلام العربي قديمة قدم شيوع موجات الإذاعة وجهاز الراديو. مصر الناصرية اكتشفت قوة الإعلام قبل غيرها ، فكان صوت العرب سلاحها في خوض حروب الإعلام العربية. الآخرون تعلموا الدرس فأسس كل منهم لنفسه ترسانته الإعلامية الخاصة. مصر الناصرية كانت دولة بمؤسسات وجيش وتاريخ وشعب كبير وعريق، فأضافت لكل هذا محطة إذاعة. بعض دول العرب ليس لها من مقومات الدولة الكثير، فبنت المحطة لتعويض عناصر الدولة الناقصة.

حروب ناصر الإعلامية ضد خصومه كانت من نوع الحرب الشاملة. دعاية ناصر كانت كاسحة وحكومات العرب كانت ضعيفة وشعوبها يسهل التلاعب بها. العرب مازالوا يستخدمون أسلحة الدمار الإعلامي الشامل، التي طورها ناصر برغم تغير الظروف وانعدام الملاءمة. الدولة العربية رسخت أقدامها ولم تعد بالهشاشة التي كانت عليها في عهد ناصر. لم تعد الميكروفونات تسقط الحكومات، وإن هزت استقرارها.

العرب يتصارعون ولا يحاربون.. الحروب لم تكن أبدا طريقة خوض الصراعات بين العرب. تاريخ العرب الحديث فيه صراعات كثيرة، لكن ليس فيه حروب. السلاح لا يستخدم في الصراعات بين العرب. غزو العراق للكويت كان استثناء، ولهذا كان صادما.

العرب لا يحاربون بالسلاح لأسباب عدة. المشاعر العربية السائدة لا تستسيغ حروب الإخوة. لا يمكن لحاكم عربي الدفاع عن شرعية حرب يخوضها ضد جيش عربي آخر. الدولة العربية تستمد جانبا من شرعيتها من العروبة، والعروبة تحرم قتل العرب للعرب. العروبة تهذب سلوك الدول العربية، لكنها لا تفعل الشيء نفسه مع مقاتلي الميليشيات والتنظيمات. حروب الميليشيات العربية تغذيها الأيديولوجيات والطوائف ولا تضبطها الضوابط التي تعمل الدول وفقا لها. الدول العربية التي يرمونها بالاصطناع والخيانة حقنت دماء العرب. العرب المنفلتون من عقال أي دولة هم الأكثر استعدادا للإيغال في دم العرب.

الدول العربية لا تحارب بعضها، لأن لكل دولة عربية حليفا خارجيا قادرا علي حمايتها. الدول العربية الصغيرة توازن تهديدات الجيران المحتملة بحلفاء الخارج المؤكدين. أخفق صدام حسين في فهم هذه الحقيقة فقتلته الوجبة الكويتية. صدمة غزو العراق للكويت كانت كبيرة، لأن ما أقدم عليه صدام حسين كان غريبا وشاذا. دول العرب تتبادل الشتائم، لكن لا تتبادل الرصاص. غزا صدام الكويت فانقسم العرب بين راغب في رد العدوان وراغب في تجنب المزيد من حروب العرب. حرب الإعلام بين الفريقين لم تكن أقل قسوة من الحرب التي دارت هناك في ميادين القتال في الكويت والعراق.

حروب العرب لا تخاض بالسلاح، إنما بالميكروفونات ومقالات الصحف. حروب الإعلام لا تقتل، لكنها تضعف الشرعية وتهز استقرار الحكومات والدول. العدو يقصف الجيوش ومقار الحكم. إعلام العرب يحرض الجيوش ويقصف شرعية الحكم. هذه هي حروب العرب. النقد الذي تتعرض له مصر أخيرا هو حرب شاملة علي الطريقة العربية. وزير خارجيتنا لم يجانب الصواب عندما وصف تصريحات حسن نصر الله ضد مصر بإعلان حرب. هذه هي حروب العرب، وهذه هي حرب نصر الله ضد مصر.

المشاعر العروبية التي تمنع الحروب بين دول العرب تفتح الباب واسعا لحروبهم الإعلامية. اللغة المشتركة أداة للتفاهم والتعاون وأداة للسباب والصراع أيضا. الحرب الإعلامية اختراع عربي بامتياز. الدول تحارب لمنع الآخرين من التدخل في شئونها، وتقييد حريتها في التصرف بما يلائمها. حروب الإعلام تتدخل في الشؤون الداخلية، وتقيد حرية الدول في التصرف أيضا، ولهذا وجب الدفاع.

لم تعد الوحدة العربية تلهم شعوب العرب بعد إخفاقاتها. فلسطين كانت .ومازالت .قادرة علي إلهام وإلهاب مشاعر العرب. ما إن يتصارع العرب حتي يستدعوا فلسطين ونقيضها الصهيوني. استدعاها صدام حسين لتبرير غزو الكويت، واستدعاها عمر البشير لتعزيز موقفه في مواجهة المحكمة الجنائية الدولية. فلسطين قضية العرب المركزية بامتياز. دول العرب ناقصة الشرعية بسبب مشكلات النشأة وحداثة التكوين تحتاج للعروبة لتعزيز شرعيتها. فلسطين هي قضية كل العرب، وهي ما تبقي مجسدا من عصر القومية العربية المبهر. شرعية الدولة العربية تقاس بإسهامها في الكفاح الفلسطيني ولو بخطبة أو مقال. لا يهم إن كان الكفاح مفيدا ومجديا، المهم هو أن يراك الناس مناضلا أو داعما للمناضلين.

الدول العربية مثلها مثل باقي دول العالم تدير علاقاتها وفقا لمبدأ توازن القوة. القوة في العالم العربي ليست قوة السلاح. السلاح ممنوع من الاستخدام في العلاقات بين العرب. الإعلام هو سلاح العرب. ناصر أدرك هذه الحقيقة قبل كل العرب. وضع ناصر قواعد مباراة توازن القوة في العالم العربي. رحل ناصر عن عالمنا منذ زمن، لكن اللاعبين مازالوا ملتزمين بقواعد المباراة نفسها.

عصر الفضائيات والإعلام الخاص ألبس اللاعبين قمصانا بألوان جديدة لكن قواعد المباراة مازالت هي نفسها. نزع السلاح الإعلامي في الشرق الأوسط هو من قبيل نزع السلاح النووي في زمن الحرب الباردة. قوة سلاح الإعلام لا تقاس فقط بطول الموجات ولا بتعدد المحطات والقنوات. قوة سلاح الإعلام تقاس بمصداقية الخطاب المعزز بالسياسة. ارتباك السياسة وضعف الخطاب يترك القوة الإعلامية بلا غطاء. ارتباك السياسة البناءة وتفكك الخطاب العقلاني يترك الناس نهبا لإعلام التضليل. لن يفيد العرب ولا بلادهم أن يتسابق الجميع في مباراة المزايدة الجارية. تاريخ العرب مع مزايدات الإعلام أشهر من أن يتم التذكير به. أسوأ هزائم العرب في العصر الحديث لم تكن لتحدث لولا التنافس في المزايدة.خسارة أمريكا الحرب في فيتنام خلفت لديها العقدة الشهيرة. هزيمتنا في يونيو خلفت لدينا عقدة مشابهة. لدي أهل السياسة والإعلام في مصر عقدة اسمها أحمد سعيد وصوت العرب. المشكلة لم تكن في أحمد سعيد ولا في الإعلام، إنما في السياسة التي كانت تقف وراءهما.

حروب الإعلام في الشرق الأوسط ستتواصل. الانقسام الراهن في المنطقة بين متشددين ومعتدلين يرشح حروب الإعلام للتصعيد. الانقسام الراهن في المنطقة حقيقي وجدي وله مخاطره. كتلة المتشددين تؤسس خطابها علي محاربة الهيمنة ودعم فلسطين. كتلة المعتدلين مرتبكة في بلورة أساس سياسي وأخلاقي لخطابها. الأساس السياسي والأخلاقي للاعتدال العربي موجود، لكنه فقط في حاجة لبعض الجهد في الصياغة والترتيب.

بين مصر وتركيا

النهار
١/١٠

كشفت طريقة التعامل الاقليمية مع الحرب الاسرائيلية على غزة، حالات العجز التي تتحكم بهذا الطرف او ذاك بقدر ما كشفت طموح أطراف آخرين الى الاضطلاع بدور اقليمي أكبر يتيحه لهم الغياب العربي الارادي عن الفعل والانفعال مع اقرب القضايا الى العرب.

سميح صعب

هكذا تصير تركيا وفنزويلا أكثر التصاقا وأكثر انفعالاً بما يجري في غزة.

وبكلام اكثر تحديد ومباشرة، برزت تركيا لاعبا اساسياً يبحث عن دور ويحاول ان يفعل شيئا لاطفاء الحرب او التخفيف من وطأتها على الفلسطينيين من سكان القطاع. وكان للخطاب التركي المتشدد حيال اسرائيل سبب مباشر هو احساس الاتراك بانهم خدعوا من رئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود اولمرت الذي زار انقرة عشية عملية «الرصاص المصهور» متحدثا عن السلام والدور التركي في رعاية المفاوضات غير المباشرة بين دمشق وتل ابيب. لم يبدر عن أولمرت ما يشي انه يتحدث عن السلام وقد اتخذ قرارا بالحرب.

رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان لم يكن في امكانه السكوت على الخداع الاسرائيلي، فاضطر للجوء الى التاريخ كي يذكر بان «الاتراك العثمانيين انقذوا اجداد ليفني وباراك من المظالم التي لحقت بهم في اسبانيا عام ١٤٩٠» واكثر من ذلك ليعتبر «أن الجرائم الاسرائيلية في غزة لطخة عار في جبين البشرية جمعاء».

مثل هذا الكلام لم يقله وزراء عرب ذهبوا الى الامم المتحدة كي يقنعوا الولايات المتحدة بتسهيل استصدار قرار من مجلس الامن يدعو الى وقف الحرب الاسرائيلية، لكن الحرب لم تقف.

وليس ادل على انحسار النفوذ العربي من امتناع دولة مثل مصر عن تحمل المسؤوليات التي يلقيها عليها كونها دولة اقليمية كبرى، تارة بالتذرع بالاتفاقات الدولية، وطورا باسم العقلانية والابتعاد عن المغامرة. ولكن حتى الرغبة في عدم افساد العلاقة مع واشنطن لا تؤتي ثمارها كما بيّنت حرب غزة. فلا العقلانية هنا هي بمثمرة، ولا وجود لرغبة في تحمل مسؤولية اقليمية اكبر. وتهرب مصر من تحمل المسؤولية لا يغطيه اعتبار غزة من مسؤولية اسرائيل على اساس ان القطاع لا يزال محتلا. ليس المطلوب من مصر التمرد على الغرب، او التنكر للاتفاقات، بل وقفة تقربها من الموقف التركي. فتركيا ليست دولة متمردة على الغرب، وهي عضو كامل العضوية في حلف شمال الاطلسي، وتقيم علاقات ديبلوماسية مع اسرائيل، وتجري معها مناورات عسكرية مشتركة دورية، وهي ايضا زبون لدى الصناعات العسكرية الاسرائيلية.

والسؤال: «ماذا يجعل تركيا تتصدى لدور اقليمي أكبر وتنتقد اسرائيل بعنف على حربها في غزة، بينما مصر لا تريد عقد قمة عربية طارئة باعتبارها امتدادا للنفوذ الايراني في المنطقة؟. ربما لان مصر تعتبر ان التصدي للنفوذ الايراني له الاولوية في سياساتها، فانها ترى ان الحرب على الفلسطينيين في غزة قضية هامشية لا تستحق اكثر من الثقافة انسانية.

ان الغياب المصري عن التدخل الايجابي في ما يحدث في المنطقة العربية، هو ما يجعل الآخرين يملأون الفراغ من تركيا الى ايران.

ليس المطلوب من مصر اعلان الحرب على اسرائيل، وانما اتخاذ موقف بمستوى الموقف التركي في الاقل ولا سيما ان غزة تتعرض لحرب، والوقت ليس مناسبا لتصفية حسابات مع «حماس» او مع سوريا وايران و»حزب الله».

واذا كانت الانظار ترنو الى مصر فلانها صاحبة دور عربي تاريخي كانت تتنكبه على مر العصور، وعليها التفاعل مع الاحداث وعدم البقاء على الهامش.

سهرة في مجلس العزاء الدولي

الديار
١/١٠

خيري منصور

لم يعد المثل الفرنسي القائل «ما ليس فرنسيا ليس واضحا» يعني شيئا بعد ان تولى ساركوزي مهمة بهلوانية ، ونحن لسنا معنيين هنا بتقديم بورتريه لساركوزي فقد قال كثير من الفرنسيين آراءهم بمناسبات مختلفة ، ومن الواضح ان ساركوزي غيّر مواقفه ثلاث مرات خلال اسبوع واحد ، وبمعنى آخر لبس لكل عاصمة لبوسها ، وكانت محاولة ساركوزي لتأجيل التصويت في مجلس الأمن على مشروع قرار لوقف اطلاق النار بمثابة اعطاء اسرائيل فرصة اضافية تقتل وتدمر خلالها المزيد من الفلسطينيين واطفالهم وبيوتهم ، ولا ندري ما الذي يعنيه الامتناع عن التصويت على قرار كان مرشحا لان يكون بالاجماع ، فالسيدة رايس لم تمتنع عن التصويت الا بمعيار بروتوكولي يتعلق بتقاليد الامم المتحدة وهيئاتها ومجلسها. انها صوتت عمليا ضد القرار ، لأنها تعرف ان امتناعها عن التصويت يفقد القرار الدولي الكثير من نفوذه وقابليته الفورية للترجمة الميدانية.

ان من تابعوا تلك المسرحية المثيرة في مجلس الأمن لا بد أنهم شعروا بالاشفاق على من يسوقه سوء طالعه الى ان يكون ضحية العنف ، انه مجلس عزاء بامتياز مصطلحاته فضفاضة ، وقابلة لتأويلات لا حصر لها ، اما العرب فهم كمن يحلم بدور البطولة ثم يجد نفسه كومبارس ، اذ سرعان ما تحول مشروع القرار الى مبادرة بريطانية ، ادخل عليها العرب اضافات لا يمكن وصفها بأنها جوهرية ، اما متى يتوقف اطلاق النار؟ ومتى تنسحب اسرائيل من غزة؟ فذلك أمر متروك لاسرائيل وحدها ، فهي التي يحق لها ما لا يحق لسواها ، لأنها مرعية من البيت الابيض وتمتلك الحق في استخدام الفوسفور الأبيض ، وتتلمذت على فلسفة الرجل الابيض في الابادة العرقية والاستيطان. حتى لو وقف اطلاق النار هذه اللحظة فان اسرائيل قتلت اكثر من سبعمائة فلسطيني وجرحت اكثر من ثلاثة آلاف معظمهم من الاطفال والمدنيين.

الشيء الوحيد الذي قد يعزي العرب العائدين من امريكا كي لا يعودوا بخفي حُنين هو الموقف الكوني من اسرائيل ، واحساس معظم شعوب العالم وبالتالي حكوماتها بالغثيان والتقزز من جرائم عنصرية توهم العالم بأنه ودّعها الى الأبد،

ان ما جرى في غزة ليس مجزرة بالمعنى العضوي فقط ، انه مجزرة سياسية واخلاقية وثقافية فهي لم تستخف بالفلسطينيين فقط بل بكل السياق القومي والعقائدي الذي ينتسبون اليه ، هذا بالرغم من ان هذا السياق في بعده غير الرسمي قال لاسرائيل بأنها لم تفلح في كل محاولاتها لوأد الوعي والمناعة ، لكن العين بصيرة واليد قصيرة ، بحيث لا تقوى على اكثر من حرق علم أو الهتاف والادانة والشجب بوسائل رمزية،

ان عاشوراء فلسطين المرشحة لان تمتد عشرات الأيام الاخرى ليست مجرد حلقة في المسلسل الدرامي الطويل ، فهي قد تبدأ لحظة الاعلان عن نهايتها ، لان اسرائيل عمقت الشعور بالكراهية وشحذت الوعي الذي اوشك ان يصاب بالخمول والتبلّد ، بحيث اعادت الى الذاكرة العربية كل ما اقترفته من جرائم ومجازر ومحارق طيلة ستين عاما ، لقد شاهد ملايين الاطفال العرب ما جرى ، وفهم من اصابه الهلع بحيث أصبح هذا الذبح في الصغر هو النقش على الحجر ، سواء كان شاهدة قبر أو سلاحا رمزيا في القبضة الصغيرة التي طالما نابت عن البالغين ممن أدركتهم مهنة المهانة لا مهنة الادب كما يقال،

ان قصار النظر فقط ومن يعيشون حياتهم من وجبة الى وجبة هم الذين يتصورون ان مثل هذه تخضع لمعادلات السياسة وحدها فالتاريخ الان يعاد مرة اخرى تحت المطرقة!

حرب الغاز تفشل في تحقيق أهدافها

البيان
١/١٠

د. جانا بوريسوفنا

أزمة الغاز التي تسببت فيها أوكرانيا في الأيام الماضية، والتي أدت إلى قطع إمداد الغاز الروسي إلى عدة بلدان أوروبية، هي في حد ذاتها أزمة سياسية أكثر منها خلافات تجارية ومالية بين روسيا وأوكرانيا.

فالنظام الحاكم في أوكرانيا المتسبب في الأزمة كان يلعب مع روسيا لعبة «العض على الأصابع» حيث يعلم الرئيس الأوكراني يوشينكو تماما أن بلاده أوكرانيا لا تستطيع البقاء لفترة أكثر من شهر على الأكثر بدون إمدادات الغاز الروسي.

لكنه لم يفكر في مصالح شعبه بقدر ما شغل نفسه بقضية أخرى شخصية، وهي قضية عدائه لروسيا وتكليفه من واشنطن وجهات غربية بتشويه سمعة روسيا، وخاصة لدى الأوروبيين، فلا شك أن واشنطن يقلقها ويزعجها كثيرا اعتماد أوروبا على روسيا في مصادر الطاقة.

لأن هذا في حد ذاته يسحب البساط من تحت أقدام الولايات المتحدة في أوروبا، ويفتح المجال لزيادة النفوذ الروسي في هذه القارة المحورية في العالم، وقد بدا واضحا لواشنطن في الآونة الأخيرة أن الأوروبيين أنفسهم باتوا لا يرغبون في الشراكة الأطلسية معها، وباتوا يتوجهون إلى روسيا واحدا تلو الآخر.

وبدا هذا واضحا في مواقف الأوروبيين من الحرب في القوقاز في أغسطس الماضي، حيث بذلت واشنطن جهودا كبيرة لحمل الأوروبيين على إدانة موقف روسيا ودخول القوات الروسية الأراضي الجورجية، وطالبت واشنطن الأوروبيين بمقاطعة روسيا ووقف الحوارات معها، ولكن باءت كل محاولات واشنطن بالفشل.

أوكرانيا أيضاً مستاءة كثيرا من موقف الأوروبيين، وخاصة رفضهم انضمام أوكرانيا وجورجيا لحلف شمال الأطلسي رغم الدعم الأميركي الكامل للبلدين وإلحاح واشنطن على الأوروبيين لقبول انضمامهما لحلف الناتو، ولكن الأوروبيين رفضوا ذلك تماما لأن هذا سوف يؤثر في العلاقات مع روسيا. من هنا تيقن النظام الأوكراني الحاكم بأن علاقات روسيا بأوروبا ستحول تماما دون انضمام أوكرانيا لحلف الناتو، من هنا بات التخطيط المشترك بين أوكرانيا وواشنطن على السعي لإفساد العلاقات بين روسيا والأوروبيين، ومن هنا كان إصرار الرئيس يوشينكو على رفض كل المحاولات لتسوية الخلافات مع روسيا حول إمدادات الغاز وديون أوكرانيا لروسيا المقدرة بنحو مليار ونصف مليار دولار عن الغاز.

كما رفض يوشينكو السعر الجديد الذي حددته موسكو لبيع الغاز لأوكرانيا وهو مئتين وخمسين دولارا للألف متر مكعب، وأصر يوشينكو على ألا يزيد السعر على مئتي دولار، هذا رغم اعتراض الأوروبيين أنفسهم على هذا السعر لأنهم يحصلون على الغاز الروسي بسعر خمسمئة دولار للألف متر مكعب، ويتساءلون «لماذا تحصل أوكرانيا على الغاز بسعر أقل ؟».

لقد حذرت روسيا أوكرانيا بأنها سوف توقف إمدادها بالغاز ابتداء من أول يناير الجاري إذا لم تسدد ديونها وتوافق على السعر الجديد للغاز، ومع إصرار أوكرانيا على موقفها نفذت روسيا تحذيرها وأوقفت ضخ الغاز لأوكرانيا في الموعد المحدد، إلا أن روسيا اكتشفت أن أوكرانيا تقوم بسرقة الغاز من الأنابيب التي تنقله إلى أوروبا.

فقررت روسيا تقليص إمداد أوروبا بالغاز عبر الخط الذي يمر بأوكرانيا بمقدار الثلثين، الأمر الذي أدى إلى قطع إمدادات الغاز عن عدة بلدان أوروبية، وهذا ما كانت تطمح له أوكرانيا، وهو أن يعلم الأوروبيون أن التعامل مع روسيا محفوف بالمخاطر وأن الاعتماد عليها كمصدر للطاقة يشكل تهديدا لأوروبا.

الرئيس الأوكراني يوشينكو يعتقد أنه نجح في خطته التي كلفته بها واشنطن، ولكن ردود الأفعال الأوروبية تعكس خلاف ذلك، خاصة في مطالبة الأوروبيين لروسيا بألا تبيع الغاز لأوكرانيا بأقل من السعر العالمي، كما أن الأوروبيين لم يطالبوا روسيا بشيء، بل طالبوا أوكرانيا بعدم المساس بخط إمداد الغاز الروسي لأوروبا، وهذا يعني أن خطة يوشينكو انقلبت عليه، ومن المؤكد أنها ستعجل بإسقاط نظامه في أوكرانيا قريبا.